المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية

(7 إلى 10 مايو 2013م الموافق 27 إلى 30 جمادى الآخر 1434هـ)

كنوز الأدبية المهدّدة بالإنقراض في الدول غير العربية: المخطوطات العربية والعجمية في نيجيريا شمالية نموذجاً

بقلم

د. محمد عمر انْداغِي
قسم اللغويات واللغات الإفريقية،
جامعة أبوجا، أبوجا، نيجيريا.
البريد الإليكتروني: mundagis@yahoo.com

ملخص البحث:

تنقسم المخطوطات العربية في نيجيريا إلى قسمين؛ قسم يخص الوثائق والأشعار والمؤلفات التي عالج فيها مؤلفوها الموضوعات الدينية واللغوية وإتفاقيات بالذات المسائل الإسلامية والعربية بمفهومها الشامل في اللغة العربية. والقسم الثاني هو ما قد كُتب بالحروف العربية غير أنّ مضمونه مواد في اللغات النيجيرية المحلية من هَوْسا، وفُلْفُلْدى، ونُوپى، ويُورُبا، وغيرها؛ وهذا ما سمي بـ"عَجَمِي" في الاصطلاح المحلي في غرب إفريقيا. لقد ساعدت محتويات هذه المخطوطات على نشر الإسلام واللغة العربية في نيجيريا لا سيما في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

ومن أجل حماية التراث الفكري والأدبي الذي ألفه العلماء النّيجيريون، تهدف هذه المقالة إلى التعرف على الوضع الحاضر للمخطوطات العربية والعجمية في نيجيريا كما أنها تهدف إلى وضع الخطوط العريقة لاستخدام وسائل التقنية الإعلامية الحديثة في خدمة الوثائق الفكرية والأدبية والدينية المكتوبة في العربية الفصحى إلى جانب المكتوبة بالحرف العربي في اللغات النيجيرية المحلية.

تكمن أهمية المخطوطات العربية والعجمية فيما تحمله من تاريخ العصور الغابرة ومن الثقافة العلمية للأمة كما تربط بين الأجيال فيما بينهم من الحضارة واللغة والمعتقدات. وبمرور الزمن، وقعت انتاجات القدماء من علماء نيجيريا في حالة الخطر السيئة كما تعرضت بعضها لآفات من بينها: البلل بالأمطار، والحرائق، والحرب المدنية، والحشرات، وسوء التحزين، وعامل الفقر (حيث أخذ أصحاب المخطوطات من ورثة العلماء يبيعها للمستشرقين). وبما أنّ للورق مدة محدّدة لصلاحيته، فلا شك في أنّ المخطوطات المكتوبة قبل مئة عام فأكثر تتمزق من آثار كيماوية.

وأما المشكلة الثانية التي تخص المخطوطات العجمية فهي عدم وجود الرموز المقنّنة الموحّدة لكتابة أصوات بعض لغات الأمم الإسلامية النيجيرية والتي تفتقدها اللغة العربية الفصحى؛ هذا مما جعل الحرف العربي في نيجيريا يعاني حديثا من تحديات كتابية وفكرية خاصةً بين المثقفين المتعاونين بالحرف العربي في المدارس الإسلامية الأهلية. يندرج عنوان هذا البحث حسب ما يهدف إلى إبرازه ومعالجته تحت مجال "اللغة العربية والتقنية الحديثة".

مقدمة:

"المخطوط" أو "المخطوطة" اسم المفعول من خطّ يخطّ خطّا. يقال خطّ الكتابَ أي سطره وكتبه؛ ويقال خطّه بقلمه أو بيده. والمخطوط هو المكتوب بالخط اليدوي، لا بالمطبعة. فالمخطوطة هي النسخة المكتوبة باليد[1]. ويطلق على من اتخذها حرفة خطّاط. ويستعمل لفظ "المخطوطة" للتفريق بين النسخة الأصلية لعمل كاتب والنسخة المطبوعة كما يشير المصطلح لأي وثيقة تاريخية مكتوبة باليد منذ العصور القديمة قبل ظهور الطباعة في القرن الخامس عشر الميلادي. يرجع أقدم المخطوطات إلى حوالي 3500 عام قبل الميلاد[2].

بدأ الأكاديميّون والعلماء النيجيريون كغيرهم في بقية أنحاء العالم يهتمون في بداية القرن العشرين الميلادي بنفض غبار الوثائق ونزح غموضها وتحقيقها وشرحها ونشرها والبحث في مضمونها لما فيها من التراث الفكري والعلمي والأدبي. فهي ـ بدون منازع ـ مخطوطات دسمة قيمة تنتظر أن ترى النور.

كانت نيجيريا من ضمن البلاد الإفريقية التي تمتلك كمية كبيرة من المخطوطات القديمة بعضها مكتوبة بالحروف العربية الفصحى والبعض بما يسمى اصطلاحا بـ "الكتابة العجمية"[3]. اليوم، توجد هذه المخطوطات الغابرة بأيدي ورثة أصحابها وفي المكتبات الخاصة[4] والتخصصية[5] والمراكز الإسلامية[6] وفي المتاحف الحكومية[7] وفي مراكز التوثيق والبحوث التابعة للجامعات[8].

والجدير بالذكر أن النوعين للمخطوطات (العربية والعجمية) في نيجيريا يمثلان مصدرا لواقع نيجيريا الثقافي والتاريخي تحت نفوذ الإسلام منذ ظهور هذا الدين فيها.

وليس الأدب العربي المكتوب في اللغة المحلية بالحروف العربية أقل أهمية ومكانة من زميله العربي حيث الرسم والمحتوى رغم استهتار بعض الباحثين الغربيين بالمخطوطات العجمية. ولقد أثبتت واقعية التاريخ والثقافة أن القصائد الفلانية كغيرها من القصائد الهوساوية والنوبية واليورباوية المكتوبة بالحرف العربي فكانت آلة فعالة في بث العقائد الإسلامية والمثل الأخلاقية وفي نشر الأخبار والأحداث بين الأمة.

وبما أنّ دراسة المخطوطات مجالٌ علميٌّ جديدٌ إلى حد ما، تكثر الجوانب التي يمكن للباحثين أن يبحثوا فيها؛ منها دراسة انتاجات أدبية شعرًا كان أو نثراً، وتحليل محتويات المخطوطات، واستقصاء فوائدها العلمية والدينية، وتقنين كتابة لغات الشعوب الإسلامية (في قارتي إفريقيا وآسيا) بالحروف العربية الموحّدة. فأخذ هذا الباحث يرغب في دراسة أدبيات الشعوب الإسلامية قديما وحديثا في نيجيريا استجابة لدعوات مجال المخطوطات بصورة عامة ومجال "عجمي" بصورة خاصة.

تبرز النصوص التاريخية أن التراث الفكري والأدبي أكبر من غيره بين المواريث المدوّنة للشعب النيجيري والذي بدأ توثيقه في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي[9]. كان "الورق" في ذلك الحين أهم مادة استُعملت لتدوين أو توثيق التراث الفكري والأدبي في شكل المخطوطات. ومع أنّ اختراع فن الطباعة كان مطلعاً لعصر النهضة في أوروبا في القرن الخامس عشر الميلادي كما كان الورق أهم وسائل انتشرت من خلالها الحضارات العالمية، فإن الورق للأسف يعاني من مشاكل كيماوية مؤثرة في نوعه بعد فترة من الزمن. كذلك، يتأثر الورق بالطقس فيتلف أو بالماء فيبلى أو بالحريق فيحترق أو بمصائب طبيعية أخرى فيتمزق.

إنّ التراث الفكري والأدبي للأمم الإسلامية في نيجيريا متأصلة في عصرين تاريخيين بنيجيريا وهما: العصر البرنوي وعصر عثمان بن فودي لما يتميز العصران به من القيادة والإدارة العامة المبنية آنذاك على عناصر دين الإسلام، فأثَّر ذلك النظام في ثقافة مجتمع نيجيريا شمالية وفي حضارتها وحياة مجتمعاتها سياسيّا واقتصاديّا. كان التراث الفكري توأما للتراث الأدبي في الدولة الإسلامية العثمانية بشمال نيجيريا ذلك في القرن التاسع عشر الميلادي إذْ "ليس من السهل أن يفرّق بين العلماء والأدباء في تلك الفترة؛ فالعلماء هم الأدباء وهم قادة الفكر وهم الذين يقومون بتدريس الدين واللغة والأدب"[10].

كنوز المخطوطات النيجيرية المهدّدة بالإنقراض واستنهاضها:

تتميز المخطوطات العربية النيجيرية بالأسرار والرقيّ التي انبثقت منها شهرة العلماء الذين تصدّروا لنصرة الدين ونشر ثقافته ومحاربة الكفر وأهله. فالمخطوطات إذن كما يلحظ البروفيسور حامد الثاني "صوت من الماضي مع أنها جامدة وصورة رائعة للغابر من الزمن أيا كان منظرها"[11]. فهي تكشف القناع عن غوامض الحقائق وتعطينا انعكاسة عن حيوية راسخة في التاريخ من حيث الحياة العلمية والاجتماعية حسب تصوير المؤلف أو الكاتب أو الناسخ. وتكمن جاذبية المخطوطات في كونها معاشرة مباشرة بالتاريخ كما تلقي الضوء على التبادلات المختلفة عبر الحدود والعصور وتفيدنا بالموضوعات التي تناولتها أقلام العلماء.

وفي منتصف القرن العشرين الميلادي، تعيّنت أهمية المخطوطات العربية في نيجيريا كمصدر فريد للمعلومات والحقائق عن تاريخ هذا البلد، فشغف الروّاد المؤرخون والأدباء وأمناء المكتبات والأراشيف باقتناء المخطوطات العربية من أصحابها ومصادرها. ويجدر بالذكر في هذا المجال أمثال وِتِينغ (C. E. Witting) وبَلْمار (H. R. Palmer) وكَنسْديل (W. E .N. Kensdale) أول نائب مكتبة جامعة إبادان عام 1953م وعبد الله سميث (H .F. C. Abdullah Smith) وفتح الله حسن المصري (F. H. El-Masri) ومارفين هِسْكت (Mervin Hiskett) وموري لاسْت (Murray Last). وجاء من جراء مجهودات هؤلاء وغيرهم إنشاء مركز ومخازن جامعية أو التابعة للحكومة لجمع المخطوطات.

ولعل أبرز الجهود وأهمها ذلك الذي قام به العالم المتخصص في تراث غرب إفريقيا الإسلامي العربي السيد يُوحنا هُنوِيك (John Hunwick). لقد اتخذت هذه الشخصية جامعة إبادان مقرًا لما بين 1960–1967م وقام خلال هذه الفترة بمهمة تاريخية في خدمة الأدب العربي الإسلامي بصفة عامة والمخطوطات العربية بصفة خاصة. لقد أدرك هُنوِيك أنّ القارة الإفريقية مدجّة بسلاح ثقافية غنية بالتراث المخطوطي، فأنشأ بدوره عام 1962م مركز توثيق المخطوطات العربية بمعهد الدراسات الإفريقية بجامعة إبادان.

ولأجل الحفاظ على تراث المخطوطات، بدأت المؤسسات الدولية والوطنية والإقليمية تساهم في تنظيم دورات تعليمية حول قضية المخطوطات عامة وحماية كنوزها

خاصة. ومن بين تلك المؤسسات: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة المسماة في الإنجليزية بـ "إسيسكو[12] ISESCO" ؛ ومؤسسة فورد Ford Foundation ؛ وجمعية حماية وتقويم المخطوطات للدفاع عن التراث الإسلامي بتِنْبُكْتُ في جمهورية مالي؛كلها من الصف الأول في شأن المخطوطات. وأما مجموعة المنظمات النيجيرية المساهمة في الحفاظ على المخطوطات فتشمل مركز التوثيق والبحوث التاريخية بكدونا التابع لجامعة أحمد بلُّو زَارِيَا، ومركز الدراسات الإسلامية التابع لجامعة عثمان بن فُودِي بصُوكْتُو؛ ووزارة الثقافة والسياحة الفدرالية.

ازداد اهتمام العلماء والباحثين من النيجيريين بدراسة مضمون المخطوطات العربية والعجمية خاصة في الدول المسلمة بغرب إفريقيا بهدف الحفاظ على تراث المسلمين الديني والتاريخي كما ازدادت عنايتهم بها بغرض اكتشاف علاج الأمراض الخطيرة مثل الأيْدز (HIV/AIDS) وغيرها من الأمراض التي لا يزال الأطباء والصّيدليّون في البحث عن دوائها. تحتوي مثلاً بعض المخطوطات العجمية في لغة نوپـى على الفوائد الطبية للنباتات المختلفة الموجودة في بلاد نوپـى بنيجيريا.

ومن الدورات العلمية المنعقدة حديثا في الحفاظ على المخطوطات (العربية والعجمية) وتدقيقها وتنقيحها هي التي نظمتها سفارة أمريكا بالتعاون مع مركز التوثيق والبحوث التاريخية التابع لجامعة أحمد بلُّو المسماة في الإنجليزية بـ "الدار الشماليةِ Arewa House" بكدونا نيجيريا ذلك في مارس 2007م . كذلك صممت

مؤسسة فورد (Ford Foundation) بالتعاون مع الدار الشمالية مؤتمرًا دوليًا حول قضية التراث المخطوطي في مايو 2009م.

انتاجات القدماء من العلماء النيجيريِّين:

تناولت انتاجات العلماء النيجيريين في شكلها المخطوطي أنواعاً من العلوم والمعارف، منها: علوم القرآن والأحاديث النبوية، الفقه وأصوله، التوحيد، التصوف، النحو والصرف، الأدب، الرحلات، علم الفلق، علم النجوم، الطب والرقية، علم الطقس، حقوق المرأة، الفتاوى في جميع المسائل، الرسائل الإدارية والعلمية والتجارية (الرسمية والشخصية) وغيرها من الموضوعات المتنوعة.

وحسب معرفة هذا الباحث، لم تكن هذه المخطوطات بأنواعها منشورة إلا قليلاً منها. يذكر الباحث في سبيل المثال تأليفات بعض العلماء النيجيريين والتي لم تنشر بعدُ. للشيخ المرحوم محمد بن عبد الله الأُتْرُكْمَاني الملقب بـ "وَزِير مَمَّ بِدَا" التأليفات الآتية: "منهج التيسير لمريد الحوض في التفسير"؛ و"نصيحة الطلاب"؛ و"رسالة إتحاف التلاميذ العاملين بوجود الثوم الحادي والثلاثين"؛ و"تخميس قصيدة مرثية أمير نوپى محمد بلُّو"؛ و"فضل النصيحة لأهل السودان في بيان قواطع الإسلام"؛ و"إرشاد الحبيب الصادق إلى سيرة خير الخلائق". وللشيخ عبد القادر زاريا (ت: 15 أكتوبر 1980م) "قصيدة الترحيب بأهل التهوى" وإن كان بعض انتاجاته الأدبية منشورة. كذلك، للشيخ المرحوم يحيى بن جبريل الملقب بـ "القَاضِي كُوتِيغِي" هذه التأليفات التي لا تزال في شكل المخطوطات: "الصدق مرٌّ"؛ و"الحجة القاطعة لمن أحل خمس نسوة"؛ و"الرسالة الهادئة عن إمام الهادي". وللشيخ المرحوم الحسن نجل عثمان الكثوي: "مصباح أهل السنة ومنوِّر صدور أهل البدعة". وللشيخ محمد إمام

غُولُو الملقب بـ "مُحَمَّ ثَاني" كتاب "أوصيكم". ومن الصعبة أن يذكر الباحث عناوين المخطوطات الموجودة في شمال نيجيريا ذلك لكثرة عددها. يخمن الباحث أن المخطوطات التي بيد أحفاد علماء نيجيريا الشماليين وتلاميذهم يبلغ عددها مئات آلاف.

يشمل النوع الثاني (إلى جانب الورق) مما حفظت به الأمة الإسلامية في نيجيريا تراثها الفكري والأدبي جميع المواعظ والخطب والأشعار الدينية المسجّلة في شرائط سمعية. ومن العلماء النيجيريين الذين استخدموا شرائط في تسجيل مواعظهم فاستشهروا بها في خمسة عقود ماضية: الشيخ طاهر عثمان بوچي، والشيخ الراحل أبوبكر محمود غومي، و الشيخ الراحل آدم عبدالله الإلوري، والشيخ الراحل ناصر كَبَرَ الكَنَوي، والشيخ الراحل الحاج عمر إيغَنْ (ت: 2 سبتمبر 1983م[13]، والشيخ المرحوم الحاج إبراهيم أغيَى (ت: يوم الإثنين 12 يوليو 1983م)[14]، والشيخ المرحوم الحاج انْدَاكُوتْسُو بِدَا (ت: يوم الأحد 25 مارس 1997م)، والشيخ الحاج أَلْفَا دَارَاجِتَا بِدَا[15]، والشيخ المفسِّر القاضي محمد سعيد اَلإنَغِوِيُّ[16]، والشيخ الحاج محمد وثِنْكُو مرشد أغيَى والشيخ محمد بَاغِي أَغَيَى (أمير الوُعاظ بإمارة أَغَيَى). تُوجد كذلك قصائد دينية ومدائح النبي صلى الله عليه وسلم على شرائط سمعية نظمها القدماء من المداح النيجيريين. والجدير ذكره في هذا الصدد أنّ بعض ما قد أنتجها هؤلاء الوعاظ والمفسّرون والمداح مسجلة في شرائط فِيديُو وحديثًا على أقراص فِيديُو (DVD).

نموذج من مخطوطة القصيدة العجمية "مُغُود الله" المكتوب في لغة هوسا[17]:

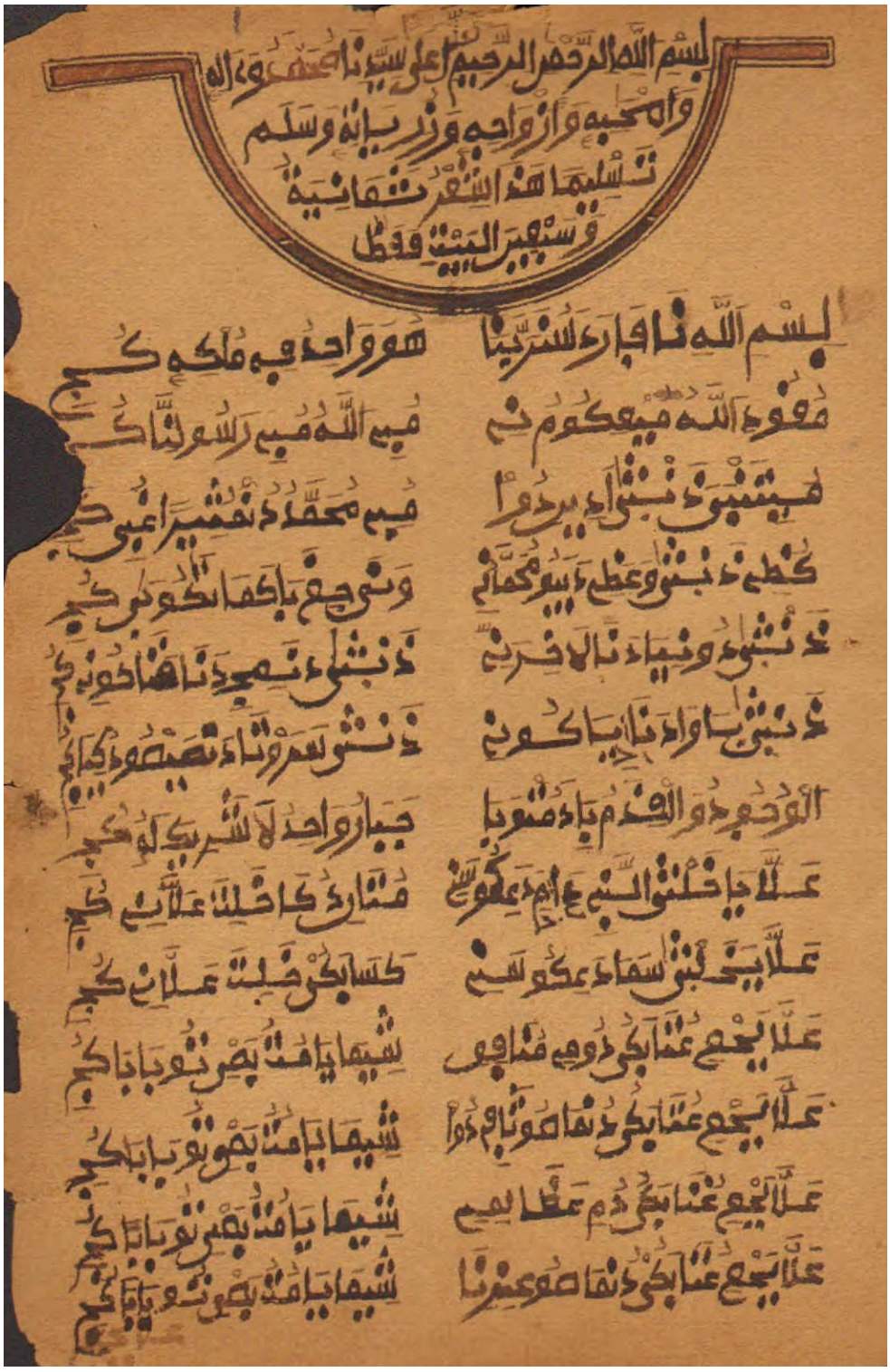

نموذج من مخطوطة القصيدة العجمية "ألاوَجَلي" المكتوب في لغة نوپـی[18]:

إزغايثن

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم تسليم

إزغايثن طا يحوطو نيثنا أتوغا شغو إثن ثفو
بسم الله طو يثم حوطو أتنفم ياي د غميزو

طو فيامة

إغن ألولا توتوو بتيممن توملا طها يمفوو يشثط
فبلى توبد مغتو يي مما غنز زوواد غنغتو

المفيفة

فرايخ نيألولا غتوتويو إمفوو يشثط
سن ألولا غتوتويو مستحبو غو وثنيو

بثوغة

فرايخ نينوو غثن وثنيو يمفوو يشثط
سن نوو غنو ثنيو مستحبو غثن وثنيو

بثوغة

فرايخ نيمم غتوتويو يمفوو يشثط
سن نيمم غتوثنيو غنتلنا مستحبو

ميغة

فرايخ نيصلا إشد غب أثنو ثنيو يمفوو يشثط
سن صلا نيشي مستحبو غوو ثنيو

بثوغة

نموذج من مخطوطة قصيدة "الله لي عدة" في العربية الفصحى لمحمد بلو بن عثمان بن فودي:

التقنية القديمة ومشاكلها:

أ) الورق:

يرجع تاريخ صنع الورق إلى عام 105م في الصين وانتقل منها إلى سمرقند، فشمال إفريقيا حتى وصل إلى أسبانيا في سنة 115م، ومنها إلى باقي أوروبا، ثم إلى أمريكا في 1690م. يصنع الورق من الألياف النباتية بمزجها مع الماء لتكوين عجينة،

وتصب العجينة على حزام مصنوع من شباك سلكية، له حافتان لضبط الحجم. ثم تضغط العجينة بين استوانات دوارة ويحمل الورق إلى استوانات التجفيف. تنقسم عجينة الورق الكيماوية إلى ثلاثة أنواع: عجينة من عملية صُودَا، عجينة من عملية كبريتيت الكَلْسِيُوم، وعجينة من عملية كبريتات الصُودِيُوم. كان المصريّون القدامى يكتبون على الورق المتخذ من نبات البردي. أما المسلمون فكانوا يستعملون القراطيس البردية، ثم أدخل الأسرى الصِّينيون في عام 701م صناعة الورق من الكتان والقنب إلى سمرقند، ومنها انتشرت صناعة الورق في بقية العالم الإسلامي. فكان الورق من قديم الزمان أداة لتسجيل المعلومات في كتب وتقارير وخرائط ورسوم.

وأقدم الكتب المكتوبة هي الأساطير والصحف المقدسة التي أنزلها الله إلى رسله (صلوات الله عليهم) والغاية من الكتابة في تلك الأواني هي حماية التراث والحفاظ عليه.

تؤكد لنا الدراسات والبحوث العلمية أنّ الأوراق التي صنعت قبل خمسين عاما أقوى من المصنوعة قبل ستين عاما لأن الورق في البداية كان يصنع من القطن والكتان والقنب[19]. وأما التي صنعت حديثًا (من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي إلى اليوم) فهي أقل في مدة صلاحية، ويرجع السبب إلى استطاعة المصانع بانتاج كمية كبيرة من الأوراق باستعمال مواد حمضية. فلم يكن الورق ذو الحمض، إذًا، أسلم الوسائل لتسجيل أو تدوين المعلومات الفكرية والأدبية. وهذه تشكل أكبر المشاكل التي يعاني منها الورق والكتاب المعاصران.

ب) الورق والبيئة:

تعتمد حالة الورق على عوامل متعددة، منها الحالات الجوية رطوبية بصورة خاصة كما تتوقف أيضا على أضواء هوائية وعلى عوامل إحيائية وإنسانية. يؤكد الباحثون من الكيماويِّين أنّ الحرارة المرتفعة درجتها تؤدي إلى ردود فعل في الورق كما تؤثر فيه رطوبة الجو[20]. كذلك، يتأثر الورق بالضوء حيث يتغير لونه بعد حقبة من الزمن[21]. يتأثر الورق أيضا بالمصائب الطبيعية مثل الحريق والطوفان كما يتأثر بالأوساخ والرِّمال والغبار، فيتدهر من أجل الفُطريات في مخازن المخطوطات والكتب.

وبالمثل، قد يفسد الورق بآثار صراصير ونمال وعثث الكتب حيث تتغذى هذه الحشرات من مادة سَلْيُولُوز (cellulose) الموجودة في الورق المحمَّض. تعيش هذه الحشرات كما تبقى في ظلام وفي بيئة ساخنة ذات أوساخ أكثر ممّا تعيش في غيرها. كذلك، يتأثر الورق بتفاعل الإنسان معه حيث يتمزق أثناء النقل من مكان إلى آخر كما يفسده الإنسان جاهلا كان أو متعمدًا.

ج) الميكروفوم (Microform):

الميكروفم هو عبارة عن تقنية تسجيل المعلومات في حجم صغير أو صورة مصغَّرة على شريط والذي يمكن عرضه لأبعد إجراءات أخرى فيما بعد. والميكروفوم على أنواء مختلفة، منها الخراطيش والشرائط (السمعية والبصرية) والميكروفيم (microfilm)[22]. يشرح البروفيسور بُنْمِي أَليغْبليي (Prof Bumi Alegbeleye) أن عملية إضعاف الميكروفوم يتم في ثلاث مراحل الآتية: تليِّين جَيلاتين[23] (gelatin) فالتقصُّف ثم التقلُّص"[24]. تتعرض الأشرطة المسجلة فيها مواعظ العلماء النوبـيِّين وأشعارهم ومدائحهم وخطبهم لأخطار كيماوية مذكورة آنفًا.

التقنية الإعلامية الحديثة وفوائدها في حماية التراث الفكري والأدبي:

يبدو مما سبقت مناقشتها حول مشاكل التقنية القديمة للورق والكتاب أن تأليفات العلماء النوبـيِّين التي لم تزل في شكلها المخطوطية معرضة لخطر الإنقراض، فأصبحت المخطوطات العربية والعجمية التي ألفها العلماء النيجيريين جزءا من "التراث المعرض للخطر".

والحل لحماية التراث الفكري والأدبي للعلماء النيجيريين كامن في أجهزة التقنية الإعلامية الحديثة؛ بعضها خُرْدوَات (hardware) مثل الحاسوب بأنواعها وأقراص وذاكرة متحركة كما أنّ البعض في شكل برامج الأجهزة الإليكترونية (software). تُطلق المصطلحة "خُردوات" على ماكينة الحاسوب بأنواعها (الكبير، والمحمول، والجيبي) وعلى مكوِّناتها من الأدوات. وتُعتبر كل من آلات الادخال مثل لوحة المفاتيح وآلات التخزين مثل الأقراص بأنواعها وآلات التفاعل مثل الذاكرة وأدوات التحكم مثل الفارة وآلات الانتاج مثل الطابعة نوعاً من أنواع خُردوات الحاسوب[25]. تشتمل أجهزة التخزين الحاسوبية على قرص CD-ROM وقرص DVD وذاكرة متحركة. وُضع قرص CD-ROM لتخزين النصوص التي يمكن قراءتها فقط ولا يمكن إعادة كتابتها أو تغييرها فيما بعد، ويمكن من خلاله إدخار نصوصٍ تبلغ كميتها ثلاثمائة ثلاث وثلاثين ألف صفحة[26]. وأما القرص المسمى في الإنجلزية بـ "Digital Versatile Disc - DVD" فهو النوع الأحدث لقرص CD-ROM والذي يمكن من خلاله تخزين الصوت والصورة والنّص؛ وتعادل ذاكرتها سبعة عشر GB[27]. وذاكرة متحركة المسماة في الإنجلزية بـ "Universal Storage Bus-USB" آلة التخزين مخترعة في سنة 1996م لإتمام التوصيل بين الأجهزة الخارجية والحاسوبات الخصوصية[28]، وهي مصنوعة في مقاييس

مختلفة (من بينها ذات GB واحدة، وذات اثنتين GB، وذات ثلاث GB). وتفيدنا هذه الآلات أننا نستطيع من واسطتها أن نحتفظ بكنوز العلماء الفكرية والأدبية حتى لا ينقرض فيختفي للأجيال القادمة.

وأما "برامج الأجهزة الإليكترونية software" فهي مصطلحة تطلق على جميع البرامج والإجراءات الحاسوبية. وبالمثل، تعني بمجموعة البرامج التي تهدف إلى تيسير قدرات ماكينة الخُردوات. ولا بد من التفاعل المتبادل بين الخُردوات والبرامج الإليكترونية كي ينتج الحاسوب انتاجات مفيدة. حقيقة، هناك علاقة خاصة بين الخُردوات والبرامج الإليكترونية فأصبحتا قطعتين متكاملتين حيث لا تستغني إحداهما عن الأخرى في إجراء عمليات الحاسوب.

ومن ميزات هذه الأجهزة والبرامج أنها تخلو من مشكلة ردود فعل كيماوية التي تعاني منها أوراق المخطوطات والكتب المطبوعة. تتميز هذه التقنية الحديثة أيضا بسلامتها من التهديدات البيئية ومن آثار الحشرات والمصائب الطبيعية. وبالتقنية الحاسوبية نستطيع أن نجمع كمية كبيرة من المخطوطات وإدخارها في ذاكرة الحاسوب أو ذاكرة متحركة أو في موقع خاص بشبكة الإنترنت، الأمر الذي يصعب انجازه بالورق والقلم أو بالكتاب والحبر.

تساعد الأجهزة الحاسوبية على تسهيل البحث في المخطوطات إذا كانت محفوظة فيها، وعلى توفير الوقت والجهد كما تعين على سهولة إخراجها حينما وحيثما كانت الحاجة إليها مهما كان العدد المطلوب أو الصفحات المحتاجة.

كتابة اللغات غير العربية بالحرف العربي:

تتميز كل لغة من لغات العالم بالأصوات الخاصة بها. للغة العربية مثلاً خمسة وعشرون صوتًا صامتًا وستة صوائت ومن المستحيل أو النادر أن تطابق اللغة العربية (في سبيل المثال) غيرها في جميع أصواتها. هذا مما يجعل غير العربي إذا أراد أن يكتب لغته المحلية بالحروف العربية يستعمل رموزا غير عربية خاصة عند كتابة أصوات لغته المفقودة في اللغة العربية الفصحى. نجد كل كاتب نيجيري أو ناظم يرسم تلك الأصوات المفقودة في اللغة العربية بحرف أو رمز شاء، فتختلف رسم حرف واحد بين أبناء لغة أو الناطقين بها إذْ يكتبه كلٌّ حسب استيعابه للصوت.

يكتب البعضُ مثلاً حرف "g" في كلمة إنجليزي (Lagos) بـ "غ" (لاغوس). هكذا يكتب بعض الناطقين بلغة **نوپي** صوت "ch" في "chado" بـ "ث" ويستعمل الآخرون نفس الحرف "ث" لكتابة صوت **نوپي** "ts" في "Gitsu" المفقودة في اللغة العربية وإن كان الحرف "ث" لا يمثل صوتين **نوپيين** "ch و ts". والمشكلة الناجمة عن هذا الوضع هي صعوبة قراءة المخطوطات المكتوبة في اللغات غير العربية بالحروف العربية إذْ كان كل كاتب أعلم من غيره بالصوت المقصود لكل حرف كتبه. ومن أسباب هذه المشكلة أن في زمن القدماء النيجيريين من ناظمي القصائد في لغاتهم المحلية (أي غير العربية) المكتوبة بالحروف العربية لم تكن هناك رموز مقننة لكتابة الأصوات غير العربية بالحروف العربية إلا في تسعينات القرن العشرين الميلادي حينما اخترعت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إسيسكو ISESCO) رموز معينة لكتابة أصوات لغات الشعوب الإسلامية بإفريقيا الغربية والشرقية[29].

الاقتراحات:

1. تكوين لجنة فنية تقنية تقوم بكل المهام المتطقة بالمخطوطات.
2. الانضمام إلى الهيئات العالمية والإقليمية والتعرف على مؤسسات عالمية مثل مؤسسة الفرقان بالمملكة المتحدة، ومركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية بالرياض.
3. تنظيم دورات لأصحاب المخطوطات العربية والعجمية وورشات عمل للعاملين في حقلها.
4. تشجيع الطلاب في الجامعات والمعاهد على التمرن في المعاملة بالمخطوطات لعربية والعجمية قراءة وفهما وتحريرا وتخزينا.
5. مدّ يد المساعدة للمنشورات التي تهتم بشؤون المخطوطة.

الخاتمة:

لقد قام الباحث من خلال الصفحات المتقدمة بعرض ماضي المخطوطات العربية والعجمية في شمال نيجيريا وحاضرها ومستقبلها. كذلك ذكر الباحث أنواع المخطوطات الموجودة في نيجيريا كما حدّد أسلوبها ومضمونها. وليس من المبالغة إنْ قلنا إنّ المخطوطات النيجيرية عُرضة لأخطار تسُونامية متراكمة أثرت فيها عبر العقود والأيام الغابرة. والمهم أن هناك إمكانيات لمكافحة هذه الأخطار وتحديات الحفاظ على

المخطوطات ذوات كنوز الأدبية ذلك بالتعاون مع المؤسسات العلمية التي تعتني بالتراث الأدبي والفكري وبالشؤون الثقافية.

إذا تغافل قوم عن تراثها الثقافية فليس له مستقبل إذْ كان أمس أساسا لليوم كما يحدد اليوم غدا. إنّ اللغة العربية وآدابها مما يربط بين الناطقين بها من العرب والعجم. وكل ما يؤثر في هذه اللغة الغنية ايجابيا أو سلبيا فإنه يهم جميع الناطقين بها عامة؛ وعليهم إذن القيام فورا بإقاذ هذا التراث المهدد قبل فوات الزمن لأن "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك".

الهوامش:

1. أحمد أبوبكر عبد الله (2012م). المخطوطة العربية الإلورية: تاريخ وثقافة وفن. إلورنك المعهد العبدلي للثقافة العربية الإسلامية، ص 43
2. محمد شفيق غربال (1960م). الموسوعة العربية الميسّرة. القاهرة: دار الشعب، ص 1668
3. وهي تعني بكل ما قد كتب في لغة غير العربية لكن بالحروف العربية.
4. مثل مكتبة الدراسات العليا بقسم التاريخ في جامعة أحمد بللو زاريا، نيجيريا؛ المسماة في اللغة الإنجلزية بـ: Northern History Research Scheme
5. مثل مكتبة المرحم وزير جنيد بصُوكْتو في شمال نيجيريا.
6. مثل مركز الدراسات الإسلامية بجامعة عثمان طن فوديو بصوكتو، نيجيريا.
7. من بينها متحف يسمى بـ "غِدَانْ مَكَامَ" بمدينة كنو في شمال نيجيريا.
8. مثل مركز التوثيق والبحوث التاريخية بمدينة كدونا في شمال نيجيريا المسمى بـ"Arewa House" بمعنى "بيت شمال" التابع لجامعة أحمد بلل زاريا، نيجيريا. "Arewa" كلمة هوساوية أصلاً تعني بـ "شمال".
9. حينما أخذ الشيخ عبد الرحمان تسَاتسَا يقرض أشعار دينية في لغة نوبى مكتوبة بالحروف العربية.
10. أ.د. شيخو أحمد غلادنجي: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا؛ الطبعة الثانية، 1993م، ص 101

11. البروفيسور حامد الثاني (2009م). "الكنز المهدّد بالإنقراض: المخطوطات العربية في نيجيريا بين تقلبات وتطلعات وتحديات"، ورقة قدمت عند المؤتمر الوطني الثامن والعشرين لجمعية معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا (نتائس) المنعقد في اوشوبو خلال الفترة من 19–23 شعبان 1430هـ الموافق 10–14 غسطس 2009م، ص 2

12. قد طبعت ونشرت منظمة إيسيسكو في التعاون مع جامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم في السودان وجمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا كتاب تعليم الصلاة مترجم إلى لغة هوسا ومكتوب باحرف العربي ذلك في عام 1422هـ/2008م

13. قرأ وتعلم العلوم العربية والإسلامية على يدي أبيه بمدينة إيغَنْ في ولاية كوَارَى بنيجيريا. عاش يدعو إلى سبيل الرشاد بمواعظ دينية في مدينة بدا بولاية نيجر. كان يختتم حلقاته الوعظية بدعاء يرجو فيه أن يأتيه أجله وهو بالمدينة المنورة، فاستجاب له ربه حيث توفي بالمدينة المنورة حينما زارها في أداء سنن الحج ذلك في 2 سبتمبر 1983م. كان أخوه الشقيق الحاج محمد الأول المرشد (ت: يوم الخميس 11 مايو 2000م) واعظا بمدينة منا، عاصمة ولاية نيجر بنيجيريا.

14. وُلد بمدينة أغي وتعلم فيها لكنه عاش في مدينة بدا حيث اتخذ يعلم الناس في بيته القريب من المسجد الجامع لمدينة بدا، كما كان يدعو الناس إلى سبيل ربه بالمواعظ الحسنة التي لا نفاق ولا رياء فيها.

15. هو شيخ الزمان الذكي الديب الفطن والذي يجذب المستمعين إلى جلسات مواعظه بأساليب حديثة الكامنة في حسن المداخل لموجب الإهتمام، ذلك مما أدى إلى شهرته بين الشاب الذين يفضلون مواعظ لطيفة على غيرها.

16. هو العالم العلامة المجتهد الخطيب المفسِّر والذي فسّر آيات القرآن الكريم كلهامن العربية إلى لغة نوپـى المنشورة عام 1430هـ/2009م. وله مدرسة خصوصية المسمات بـ "معهد أولو العزم للدراسات العربية والإسلامية" في مدبنة بدا. يحتوي هذا المعهد على ثلاث مراحل تعليمية: الإبتدائية والثانوية والعليا (الدبلوم). توفي الشيخ يوم الإثنين 31 أكتوبر 2011م.

17. وهي قصيدة جيمية من حيث قافيتها. كانت القصيدة منظومة على تسعة وسبعين بيتاً؛ نظمها الشيخ الراحل عمر انْداغي (المتوفى 1417هـ) والذي كان في حياته إماما راتبا لمسجد أمير نوح بمدينة أغي في ولاية نيجر بنيجيريا.

18. هي قصيدة عجمية مكتوبة في لغة نوپـى نظمها الشيخ عبد الرحمن تْسَاتْسَا (المتوفى 1829م).

19. Olakunle A. Sogbein. "Challenges of Alkaline Paper Production and its Usage in Nigeria"; Being a Paper Presented at the International Conference on Heritage Preservation, held in Abuja, February 18th–24th, 2008, p.5

.20

Abiola Abioye. "Issues and Approaches to the Deterioration and Preservation of "Paper and Microform in Nigeria"; Being a Paper Presented at a workshop on National Policy on Preservation and Conservation of National Documentary Heritage in Nigeria held at the NCCE Conference Room, Abuja; March 24-27 2009, page 7

.21 المرجع نفسه، ص 8

.22

Professor Bunmi Alegbeleye. "Media Deterioration: The Case of National Archives of Nigeria and the University of Ibadan"; Being a Paper Presented at the International Conference on Preservation of Nigeria's Scholarly and Literary and Manuscript Heritage , held at Arewa House Kaduna, February 6th-8th 2007, p.2

.23 نوع من الحمض

.24 Prof Bunmi Alegbeleye (2007), *Op. Cit*; pp 6-7

.25 Sinha, P.K (1992) Computer Fundamentals. New Delhi: BPB Publications, page 113

.26 Balogun, Victor (2004) PC Repairs and Data Communications Networks. Abuja: Calvary Regent Publications limited, page 106

.27 نوع من معايير المواد الإليكترونية

.28 انظر: www.wikipedia.com

.29 منها: لغة هوسا، ويوربا، وكانوري، وفلفلدي، وسواحلي، ولوغندا، وصنغاي، وأرومو، ومادنكى، ولوفو.